

الحوار

مركز الحوار السوري  
Syrian Dialogue Center

## التطورات الميدانية وأثرها السياسي في مسارات التفاوض

ورقة تحليلية على إثر انعقاد ندوة حوارية أقامها مركز الحوار السوري حملت نفس العنوان  
بحضور عدد من الباحثين والفاعلين

<http://sydialogue.org/news/21>

السبت 10 جمادى الأولى 1439 هـ - 2018/1/27 م

## جدول المحتويات

2	تمهيد.....
2	أولاً- الشمال السوري يشتعل من جديد.....
2	المتغيرات الميدانية في إدلب ومحيطها.....
4	في دوافع الحملة:.....
4	"داعش" والتقدم المشبوه:.....
5	أسباب تراجع الفصائل:.....
6	الهجوم على قاعدة حميميم.....
7	ثانياً-تأثير المتغيرات الميدانية على مسارات التفاوض:.....
7	السيناريوهات العسكرية المحتملة ومستقبل "خفض التصعيد".....
7	ماهي تفاصيل اتفاق خفض التصعيد في المنطقة الرابعة (إدلب وما حولها)؟.....
9	المعركة في إدلب والعين على سوتشي.....
10	عفرين وإدلب في قلب التفاهات الدولية.....
11	كيف يمكن للمعارضة أن تستفيد من معركة عفرين؟.....
11	خاتمة وتوصيات:.....

تصدّرت محافظة إدلب مشهد الأحداث في الأيام الماضية إثر المعارك الدائرة في المنطقة الممتدة بين مناطق ريف إدلب الجنوبي الشرقي وريف حلب الجنوبي وحمّاه الشمالي، بين النظام وحلفائه من جهة، وفصائل الثورة السورية من جهة أخرى، بالإضافة لتقديم ملفت لتنظيم الدولة "داعش" على حساب الطرفين.

وتبرز أهمية تلك المنطقة باعتبارها جزءاً من المنطقة الرابعة التي شملها اتفاق "خفض التصعيد" المتمخض عن مفاوضات "أستانة"، وهو ما شكّل خرقاً كبيراً للاتفاق، في ظل مواقف غير حاسمة حتى الآن من قبل الدول الضامنة للاتفاق: روسيا وتركيا وإيران، رغم ظهور ردود فعل دبلوماسية من الجانب التركي، وتصريحات روسية تربط المعارك الدائرة بتجاوب فصائل المعارضة مع الجهود الروسية لعقد مؤتمر سوتشي "للحوار السوري" نهاية الشهر الحالي.

ويبدو من المنطق الربط بين المعارك على الأرض ومسارات التفاوض بشأن الأزمة السورية، التي يسعى الروس إلى إدارتها وفق رؤيتهم لمسار الحل، حيث عمدت روسيا إلى التصعيد العسكري قبيل جولات التفاوض السابقة، سيما وأن المعارضة السورية بشقيها السياسي والعسكري رفضت الدعوات الروسية لحضور ما سمي مؤتمر "الحوار السوري" المزمع عقده في سوتشي نهاية كانون الثاني/يناير الحالي.

## أولاً- الشمال السوري يشتعل من جديد

### المتغيرات الميدانية في إدلب ومحيطها

بدأت قوات النظام وحلفاؤه في منتصف تشرين الثاني / نوفمبر بالهجوم على المثلث المشترك (ريف حماه الشرقي/ ريف إدلب الجنوبي الشرقي/ ريف حلب الجنوبي)، وذلك عبر ثلاثة محاور: المحور الأول انطلاقاً من ريف حلب الجنوبي من منطقة الحاضر، والمحور الثاني انطلاقاً من خناصر جنوب حلب باتجاه تل الأحمر، والثالث انطلاقاً من ريف حماه الشمالي الشرقي للسيطرة على أبو دالي وسنجان<sup>1</sup>.

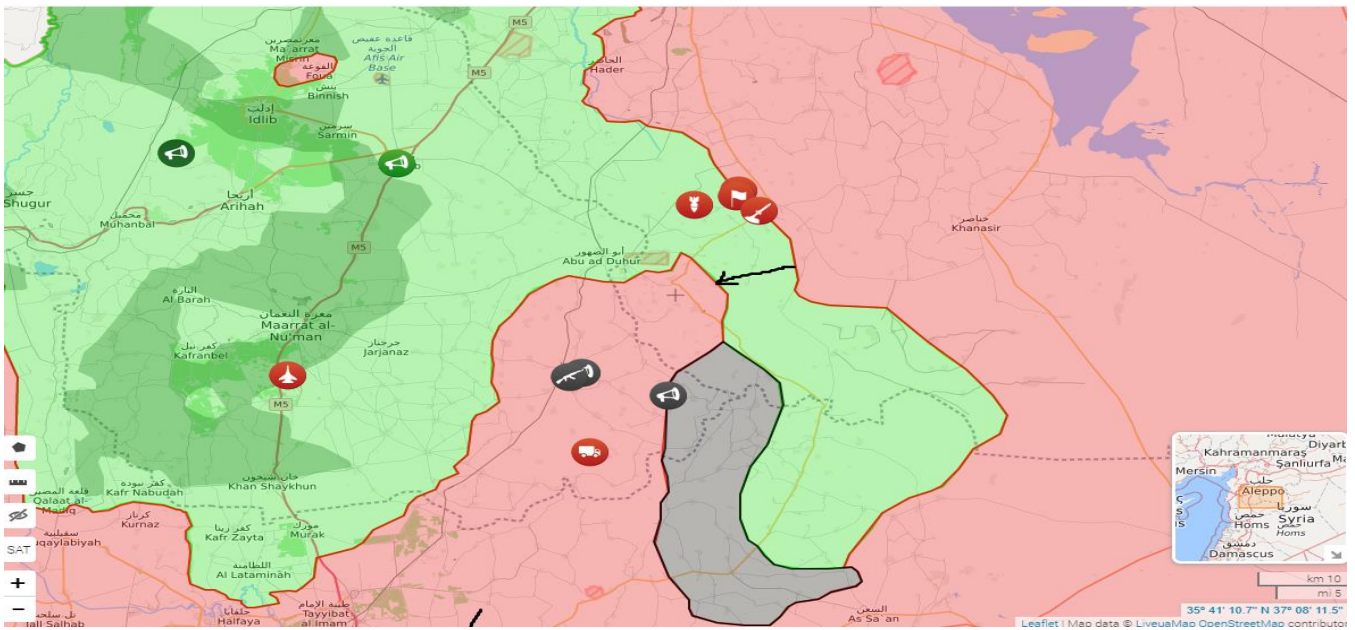
وبعد أن صعّدت القوات الجوية الروسية حملتها، استطاعت قوات النظام تحقيق تقدم ملموس خصوصاً في المحورين الجنوبي والشرقي ووصلت إلى الأطراف الجنوبية لمطار أبو الظهور العسكري يوم 10 كانون الثاني/يناير<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مع بداية تشرين الأول/أكتوبر الماضي وبعد إقرار تفاصيل المنطقة الرابعة في اتفاقات "خفض التصعيد"، شنت "هيئة تحرير الشام" هجوماً على قرى "أبو دالي" و "المشيرة" اللتان كانتا تحت سيطرة النظام، تزامناً مع ذلك خاض تنظيم "داعش" معارك ضد هيئة تحرير الشام في ريف حماه الشمالي الشرقي.

<sup>2</sup> "معركة إدلب"، فايز الدويري، الجزيرة نت، 16 كانون الثاني/يناير 2018، <https://goo.gl/CTzbE7>.

وبعد تردد لأيام، بدأت فصائل الثورة العمل على صدّ هجوم قوات النظام في يوم 11 يناير/كانون الثاني من خلال غرفتي عمليات<sup>3</sup>، ونجحت في إبعاد قوات النظام عن المطار حوالي 5 كيلو متر واستعادة السيطرة على عدة قرى في الساعات الأولى في جنوب شرق إدلب أهمها عطشان والخوين وزرزور، وسعت الفصائل للعمل على إطباق الحصار على قوات النظام المتقدمة من الجيب الجنوبي، مفترضة بأن هيئة تحرير الشام ستقوم بالعمل شرق قوات النظام باعتبارها من مناطق سيطرتها، فيما تعمل باقي الفصائل في الجهة الغربية، وفشلت محاولة حصار قوات النظام المتقدمة بسبب السقوط المتوالي للقرى والمدن أمام تقدم قوات النظام في مناطق سيطرة هيئة تحرير الشام من الجهة الشرقية.

كما استطاعت قوات النظام التقدم من محور جنوب حلب من منطقة تل الأحمر غربي خناصر وبقي أقل من 8 كيلو متر لتلتقي مع قواته المتقدمة من جنوب ادلب شرق المطار، ساعية بالتالي لفرض الحصار على مئات القرى في مساحة تقدر بحوالي 1200 كيلو متر مربع<sup>4</sup>.



### تقدم قوات النظام حتى يوم 17 يناير<sup>5</sup>

<sup>3</sup> الأولى معركة "رد الطغيان" وضمت (جيش العزة، جيش النصر، جيش إدلب الحر، جيش النخبة، فيلق الشام، الجيش الثاني)، فيما بدأت حركة أحرار الشام بالتعاون مع جيش الأحرار وحركة نور الدين الزنكي عملياتها عبر معركة "إن الله على نصرهم لقدير"، انطلاقاً من ريف حماه الشمالي وريف ادلب الجنوبي الشرقي، فيما غابت هيئة تحرير الشام عن كلا الغرفتين السابقتين رغم استمرارها في بعض العمليات المتفرقة مع انسحابات كبيرة وملفتة من مناطق سيطرتها.

<sup>4</sup> استطاعت قوات النظام في وقت لاحق تحقيق التقاء بين قواتها القادمة من جنوب حلب مع المتقدمة من شمال شرق حماه، وفرضت حصاراً على مئات القرى التي تقع تحت سيطرة كل من هيئة تحرير الشام وتنظيم "داعش".

<sup>5</sup> <https://syria.liveuamap.com>

## في دوافع الحملة:

بعد التقدم الذي حققته قوات النظام في المناطق الشرقية من البلاد، ومع هدوء جبهات الجنوب باستثناء الغوطة الشرقية، يسعى النظام لمواصلة تقدمه والسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأراضي، من أجل ترتيبات الحل النهائي.

إن سيطرة النظام على نقاط متقدمة في محافظة إدلب يحمل أهمية معنوية باعتبار أن المحافظة باتت المعقل الرئيسي لقوى الثورة والمعارضة السورية، ورغم عدم وجود قيمة عسكرية لمطار أبو الظهور الذي يحاول النظام السيطرة عليه باعتباره مدمراً، إلا أنه يشكل نقطة ارتكاز استراتيجية جديدة قد تشكل منطلقاً لقوات النظام نحو السيطرة على أجزاء أخرى من محافظة إدلب، وسيعتبر أول قاعدة عسكرية يستعيدتها النظام في المحافظة، ومع اقتراب موعد انعقاد "سوتشي"، يحاول النظام دخول المؤتمر بوجود مكاسب ميدانية تساعد الروس على فرض رؤيتهم للحل السياسي.

من جهة أخرى، لا يبدو أن النظام السوري سيقف عند حدود سكة الحجاز في عملياته، فقد سيطر على عدة قرى تقع غرب السكة، ويسعى للسيطرة على طريق حلب دمشق لما له من أهمية تجارية.

أما إيران، فهي تشارك في المعارك، وخاصة تلك المنطلقة من جنوب حلب، وتواصل استراتيجيتها لوضع موطن قدم في كل المحافظات السورية، وتحاول الدخول لإدلب لتثبيت نقاط عسكرية متقدمة أمام النفوذ الروسي في الساحل، والنفوذ التركي في ادلب، وتأمين نقاط انطلاق جديدة للوصول إلى قريتي كفريا- والفوعة، في حين أن النظام يعتمد كثيراً في معارك شمال حماة وجنوب ادلب على المجندين السوريين الجدد، وعناصر ما سمي "الفيلق الخامس".

من جهتها فإن دعم روسيا لقوات النظام في إدلب، يرتبط بجهودها لرعاية مفاوضات الحرب السورية، وتسعى بالتالي لممارسة ضغط ميداني يثمر نتائج سياسية تؤثر على قوى الثورة والمعارضة وحلفائهم في ميادين التفاوض.

## "داعش" والتقدم المشبوه:

استغل "داعش" الأوضاع الميدانية المرتبكة فتقدم بشكل ملفت بالتوازي مع تقدم قوات النظام في نفس الجيب الممتد من جنوب شرق إدلب، في معارك مع كل من النظام وهيئة تحرير الشام، واقترب لمسافة تقدر من المطار بـ15 كيلو متر، وسيطر على عشرات القرى والبلدات، ووصل إلى قرية "رسم الجحش" التابعة إدارياً لمحافظة حلب.

وبحسب المعلومات، يسعى التنظيم للوصول إلى مناطق سيطرة "جيش البادية" و"جند الملاحم" المنشقين عن هيئة تحرير الشام مؤخراً، والمعروفين بتبعيتهما لتنظيم "القاعدة"، في الجهة المقابلة لبلدة سنجار من الجهة الغربية<sup>6</sup>.

<sup>6</sup> "سبعة كيلو مترات تفصل تنظيم الدولة عن حصار النظام"، عنب بلدي، 18.1.2018، <https://www.enabbaladi.net/archives/199663>.

وفي ظل الوضع المتشابك على الأرض، وتعدد القوى المقاتلة، وتبادل السيطرة بين مختلف القوى، يزداد الوضع تعقيداً وتقل فرص إيقاف المعارك، خصوصاً بعد الوصول المشبوه لتنظيم "داعش" لحدود محافظتي إدلب وحلب، وهذا ما سينعكس بدوره على مجمل الوضع الميداني والسياسي للملف السوري.

## أسباب تراجع الفصائل:

خسرت قوات الثورة والمعارضة السورية مئات القرى منذ بدء العمليات العسكرية، ومن أهم الأسباب التي أدت لتراجع فصائل الثورة والمعارضة السورية أمام تقدم النظام وحلفائه:

- التفوق العسكري والنوعي لقوات النظام، مع وجود إسناد جوي وكثافة نارية، واتباعها سياسة الأرض المحروقة، في ظل الدعم العسكري الجوي الروسي.
- طبيعة المنطقة، والتي تفتقد أولاً وجود موانع طبيعية تساعد الفصائل في التصدي للهجوم، وثانياً كون هذه المناطق تحديداً لا تمثل بيئة حاضنة للثورة، فغالبية المقاتلين ليسوا أبناء المنطقة، وبالتالي لم يكن لديهم الدافع المناطقي للدفاع عن مناطقهم.
- عدم وجود خطط دفاعية مسبقة من قبل الفصائل، حيث لم تأخذ الفصائل تهديدات النظام السابقة بالوصول لمطار أبو الظهور على محمل الجد، في ظل وجود اتفاقات "خفض التصعيد".
- تشرذم قوات المعارضة وترددتها في دخول المعركة، بعد الخلافات الكبيرة ومعارك النفوذ التي شنتها هيئة تحرير الشام ضد باقي الفصائل، مما أضعف تلك الفصائل، وأضعف التعاون فيما بينها.
- لم تُبد هيئة تحرير الشام مقاومة واضحة أمام تقدم قوات النظام، ولم تقاوم بنفس الضراوة والروح المعنوية، ولم تستخدم أسلوبها في القتال المتمثل في العمليات الانتحارية والإنغماسية، وقد يعزى ذلك لأحد عاملين: الأول أنها تحاول أن تتماهى مع الترتيبات الدولية في أستانة<sup>7</sup>، وأن تقدم نفسها بأنها مستعدة للتعامل مع مخرجات الجهود الدولية في سبيل رفع التصنيف عنها بأنها "إرهابية"، أما الثاني فهو أنها لا تريد أن تستنزف قوتها في المعارك، الأمر الذي قد تستفيد منه باقي الفصائل وتعمل بالتالي على تصفيتهم في إدلب المعقل الرئيس لهيئة تحرير الشام. وكان القائد العام لهيئة "أبو محمد الجولاني" قد دعا في تسجيل صوتي يوم 17 الحالي باقي الفصائل لما سماه "المصالحة وحرص الصفوف لصمد تقدم قوات النظام"<sup>8</sup>.

<sup>7</sup> فايز الدويري، مرجع سابق.

<sup>8</sup> "الجولاني ينتقد أستانة ويدعو المعارضة للتوحد"، الجزيرة نت، 17.1.2018، <https://goo.gl/hfi9Sy>.

- التأخر التركي في ردود الفعل تجاه المتغيرات على الأرض<sup>9</sup>، وتسعى تركيا لعدم انهيار تفاهماتها مع الروس والإيرانيين في الوقت الذي تحشد فيه قواتها مقابل عفرين، حيث تعاملت تركيا مع الملف بحذر منذ توقيع اتفاق المنطقة الرابعة، ولم تنشر سوى 3 نقاط مراقبة في شمال إدلب بالقرب من عفرين، ولم تتمكن هيئة تحرير الشام الأتراك من الانتشار في 12 نقطة في محافظة إدلب نص عليها الاتفاق<sup>10</sup>، ولم تقدم تركيا ضمانات تامة بشأن حل إشكالية هيئة تحرير الشام، وخشيت من استغلال النظام وحلفائه لوجود الهيئة لتبرير أي عمليات عسكرية في إدلب<sup>11</sup>.
- دخول تنظيم "داعش" على خط المعارك الدائرة، وخوضه لمعارك عنيفة ضد هيئة تحرير الشام، وسيطرته على عشرات القرى وأهمها سنجار.

### الهجوم على قاعدة حميميم

أعلنت وزارة الدفاع الروسية يوم الاثنين 8 كانون الثاني/يناير الجاري، أنها تصدت لهجوم بطائرات مسيّرة استهدف قاعدتها في "حميميم" ليل السبت الأحد 6 كانون الثاني/يناير، وأظهرت صور مسربة دماراً لحق بعدد من الطائرات والمعدات الفنية ضمن قاعدة حميميم رغم عدم وجود تصريح رسمي روسي ينفي ذلك، وأشارت روسيا بعد ظهور نتائج الهجوم إلى أن التقنيات المستخدمة في الطائرات المهاجمة لا تملكها إلا دول، واتهمت روسيا على لسان مسؤوليها الولايات المتحدة صراحة بالوقوف خلف هذا الهجوم، حيث أشار "كليديسيفيتش" نائب رئيس شؤون لجنة الدفاع والأمن في مجلس الاتحاد للبرلمان الروسي، عن تورط الولايات المتحدة في ذلك الهجوم، وأشار لوجود طائرة استطلاع أمريكية في الأجواء وقت الهجوم<sup>12</sup>، وأكد السفير الروسي في لبنان هذه الاتهامات<sup>13</sup>.

وقد أثارت الهجمة جملة من التساؤلات خصوصاً حول الجهة التي ساعدت في العملية التي انطلقت من مناطق سيطرة فصائل الثورة في محيط إدلب، ومع التأكيد الروسي لعدم وجود علاقة لتركيا بالهجوم، تدور الشكوك حول مسؤولية الولايات المتحدة، وهذا بدوره يفتح الباب لتحولات عدة في المستقبل واحتمال تفجر صراعات نفوذ بين الولايات المتحدة وروسيا اللتان تملكان قواعد عسكرية في سوريا، مع دعم روسي أوسع لعمليات قوات النظام في إدلب.

<sup>9</sup> في 9 يناير الحالي، استدعت وزارة الخارجية التركية سفراء روسيا وإيران للاحتجاج على معارك النظام في إدلب وخرقها لاتفاق خفض التصعيد الذي تم الاتفاق عليه في استانة.

<sup>10</sup> حسب ما أفاد به عضو وفد قوى الثورة لأستانة في الندوة المشار إليها.

<sup>11</sup> "التصعيد العسكري شرق سكة الحجاز"، مرجع سابق.

<sup>12</sup> "روسيا: هجوم الدرونات على حميميم تم بمساعدة CIA"، سبوتنيك عربي، 9.1.2018، <https://goo.gl/BX7dqR>.

<sup>13</sup> "بوتين: نعرف من قام بالهجوم على حميميم"، الميادين، 11.1.2018، <https://goo.gl/bzEKvT>.

## ثانياً-تأثير المتغيرات الميدانية على مسارات التفاوض:

### السيناريوهات العسكرية المحتملة ومستقبل "خفض التصعيد"

في ظل تبدل مواقع السيطرة بين الأطراف المقاتلة على الأرض، يصعب التكهن بمسار المعارك الميدانية في الأيام القادمة، ولكن الاحتمالات تتزايد عند سيناريوهين اثنين:

**الأول:** أن يستمر النظام في تقدمه ليسيطر على مطار أبو الظهور العسكري، مع احتمال توسيع سيطرته وصولاً للسيطرة على طريق دمشق-حلب الدولي<sup>14</sup>، بدعم روسي إيراني، مستفيداً من تقدم "داعش" في عمق إدلب ومعاركه مع المعارضة السورية، في ظل رغبة روسية في تحقيق مكاسب ميدانية قبيل انعقاد مؤتمر سوتشي، مع احتمالية إيقاف المعارك بشرط قبول فصائل المعارضة حضور المؤتمر.

**الثاني:** أن تجمع فصائل المعارضة قواها، وتنسق عملها ضمن غرفة عمليات موحدة تضم الفصائل جميعها بالإضافة لهيئة تحرير الشام، لاستعادة المناطق التي خسرتها في الأيام الماضية سواء من داعش أو النظام، حيث أن الثقل العسكري للفصائل الثورية في ادلب ومحيطها في حال التنسيق، قادر على إيقاف تقدم النظام وإجباره على التراجع.

ويعتبر السيناريو الأول هو الأقرب للتحقق بسبب التفوق النوعي لقوات النظام من جهة، وفقدان الفصائل لثقتها ببعضها وبهيئة تحرير الشام من جهة أخرى، إلا إذا تم إعادة تفعيل التهدة، وبالتالي أفضل ما يمكن أن تحققه الفصائل هو الحفاظ على مواقعها في ريفي حماه وادلب أمام تقدم النظام و"داعش"، ولا يُنتظر أن يوسع النظام عملياته نحو مركز محافظة إدلب بسبب وقوع المحافظة ضمن ترتيبات التفاهات الروسية التركية.

ويمكن إضافة سيناريو ثالث وهو أقل احتمالية مرتبط بتقدم "داعش" في المنطقة، وتوسيع سيطرته وصولاً لمطار أبو الظهور، خصوصاً إذا سمح النظام لـ "داعش" بالتقدم في حال خسارته أمام قوى المعارضة.

### ماهي تفاصيل اتفاق خفض التصعيد في المنطقة الرابعة (إدلب وما حولها)؟

بدأ مسار أستانة للمفاوضات السورية مع بداية العام 2017 برعاية الدول الضامنة الثلاث (روسيا- تركيا- إيران)، واتخذ المسار معالجة الجانب العسكري وترتيبات الأرض، وتجميد القتال بين أطراف الحرب السورية، وشاركت به أبرز فصائل المعارضة السورية العسكرية.

وفي 4 أيار مايو 2017 وخلال الجولة الرابعة من مسار أستانة، وقعت الدول الضامنة ما سمي "اتفاق مناطق خفض التصعيد"، والذي يسعى لفرض مناطق لتخفيف النزاع المسلح عبر أربع مناطق حددتها الدول الضامنة وهي:

<sup>14</sup> أعلنت قوات النظام يوم 21 كانون الثاني/يناير سيطرتها على مطار أبو الظهور بالكامل، فيما أعلنت "هيئة تحرير الشام" في اليوم التالي 22 يناير بأنها معركة لإعادة السيطرة على المطار.



المنطقة الأولى: وتقع جنوب سوريا، وتضم محافظتي درعا والقنيطرة، المنطقة الثانية: وتضم مناطق شمال حمص، المنطقة الثالثة: وتضم الغوطة الشرقية، المنطقة الرابعة: وتضم محافظة إدلب والمنطقة المتصلة بين محافظات حماه وحلب واللاذقية.<sup>15</sup>

وكانت الدول الضامنة قد أعلنت خلال الجولة السادسة من "أستانة" في 15 أيلول/سبتمبر 2017، توصلها إلى اتفاق على إنشاء "منطقة خفض التوتر" الرابعة في إدلب، ولم تعلن حينها تفاصيل الاتفاق، إلا ما رشح من بعض وسائل الإعلام المقربة من تلك الدول، في حين أعلنت الدول الضامنة حينها أنها اتفقت على نشر مراقبين لوقف إطلاق النار في إدلب.<sup>16</sup>

ووفق ما رشح عن وسائل الإعلام، فإن الاتفاق يقضي بأن تجد تركيا حلاً لملف هيئة "تحرير الشام"، والتي تُصنف كمنظمة إرهابية من كافة الأطراف، وهي التي هاجمت الفصائل بُعيد توقيع الاتفاق، وتم تقسيم المنطقة وفق ما يلي<sup>17</sup>:

المنطقة البنفسجية: وتقع شرق سكة الحجاز، وتصبح منزوعة السلاح وتحت الحماية الروسية، وتدار من قبل المجالس المحلية العاملة فيها، وتتولى تركيا التفاهم مع فصائل المعارضة السورية وأبناء المنطقة على هذا الأمر. وتنتشر في هذه المنطقة نقاط مراقبة روسية وإيرانية، لكن رفض الأتراك للوجود الإيراني جعل الاتفاق على قوات مراقبة روسية فقط.

المنطقة الزرقاء: وتقع بين غرب سكة الحجاز وطريق حماه حلب الدولي، تكون خالية من السلاح، وتنتشر فيها قوات مراقبة روسية وتركية.

المنطقة الخضراء: وتقع فيها ما تبقى من مناطق سيطرة المعارضة في الشمال السوري، وتنتشر فيها نقاط مراقبة تركية<sup>18</sup>.

وتركزت المعارك الأخيرة في الشمال السوري ضمن هذه المنطقة، وهو ما شكل الخرق الأبرز لاتفاق خفض التصعيد ككل، رغم وجود العديد من الخروقات السابقة في أكثر من مكان.

وما زالت روسيا ترى أن وجود "هيئة تحرير الشام" في هذه المنطقة يشكل دافعاً لقوات النظام للتقدم بحجة القضاء عليها، حيث لم تقدم فصائل الثورة حلولاً فعالة تتجاوب مع الهواجس الروسية والدولية بشأن "هيئة تحرير الشام"، لا بل مارست الهيئة عملية تصفية ضد الفصائل بعيد توقيع الاتفاق، وهو ما سمح لقوات النظام وحلفائه من تحقيق مكاسب ميدانية لا بد أن تنعكس لمصلحته ومصصلحة حلفائه على مائدة المفاوضات.

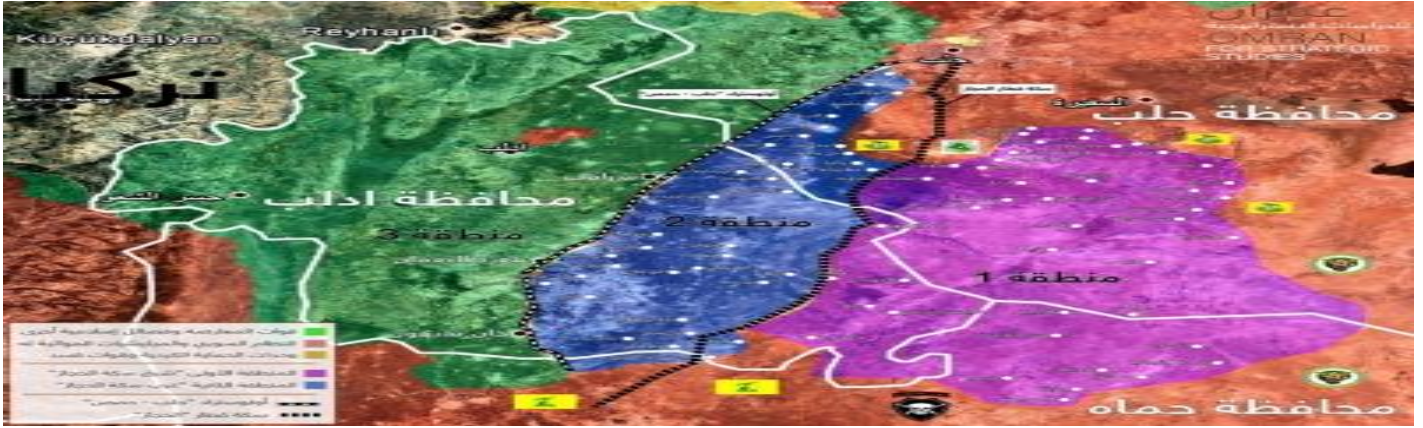
<sup>15</sup> من الجدير ذكره أن الفصائل وقعت تفاصيل اتفاقات خفض التصعيد في بعض المناطق بعد التشاور مع الخبراء الروس بشكل منفصل استكمالاً لاتفاقات خفض التصعيد في أستانة كما جرى بالاتفاقات الخاصة بمناطق: شرق القلمون 5 أيلول 2017 القاهرة – الغوطة الشرقية 22 يوليو 2017 القاهرة- شمال حمص أيلول 2017، درعا والقنيطرة يوليو 2017.

<sup>16</sup> "إدلب منطقة خفض التصعيد الرابعة في سوريا"، الجزيرة نت، 11 يناير 2017، <https://goo.gl/fV2b4W>.

<sup>17</sup> "التصعيد العسكري شرق سكة الحجاز"، مركز جسر للدراسات، 12.1.2018، <https://goo.gl/b8nXTm>.

<sup>18</sup> خلال الندوة الحوارية المشار إليها والتي أقامها مركز الحوار السوري حول التطورات الميدانية وأثرها في مسارات التفاوض يوم 16 من الشهر الحالي وحضرها عدداً من السياسيين والأكاديميون وممثلو قوى سياسية وفصائل، أوضح ضابط في الجيش السوري الحر، وعضو في وفد قوى الثورة والمعارضة إلى مؤتمر أستانة، تفاصيل الاتفاق حول المنطقة الرابعة في ادلب، وهي توافق تقريباً الرؤية التي تم ذكرها حول الاتفاق، وأكد أن ما يحدث على الأرض ليس له أي علاقة باتفاق "أستانة 6" الخاص بإدلب، والذي حدد وجود قوات شرطة عسكرية روسية في مناطق شرق السكة.

ورغم تعقد المشهد الميداني، ودخول معركة عفرين على خط الاتصالات الدولية القائمة حول الملف السوري، بالإضافة لاستمرار المعارك في إدلب وريفها بين مختلف الأطراف، يبدو من المستبعد في المستقبل القريب انهيار اتفاق "خفض التصعيد"، فلا الدول الضامنة تريد أن توتر علاقاتها بعضها ببعض، ولا المعارضة السورية قادرة على فرض مسارات بديلة، لكن من الممكن إيجاد تعديلات وصيغ جديدة وفق تفاهات الأطراف الفاعلة تبعاً للسيطرة الميدانية الأخيرة والتداعيات المحتملة لمعركة عفرين.



خريطة توضح تفاصيل الاتفاق حول ادلب<sup>19</sup>

## المعركة في إدلب والعين على "سوتشي"

رغم محاولتها ربط العمليات الجارية في إدلب بوجود "جبهة النصرة"، إلا أن روسيا تسعى لتصعيد الموقف العسكري وضرب المعارضة السورية لثنيها عن قرار رفض المشاركة في مؤتمر سوتشي المزمع عقده نهاية يناير الحالي، حيث لم توافق تشكيلات المعارضة السورية السياسية منها والعسكرية حتى اليوم على حضور هذا المؤتمر، والذي تسعى روسيا من خلاله لفرض رؤيتها للحل في سوريا، عبر إجراء إصلاحات دستورية تعيد إنتاج النظام الحالي بعد تثبيت اللامركزية والمحاصصة الطائفية، وبصيغة تكرر الوجود العسكري الدائم للقوات الروسية في سوريا، مع حيازتها لمكاسب إعادة الإعمار، مما يعزز نفوذها في المنطقة ككل.

وكان وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، قد أكد خلال حوار مع انترفاكس، "أن أهم المسائل في مؤتمر سوتشي بشأن سوريا تتمثل بإجراء إصلاحات دستورية، والتحضير لانتخابات برلمانية ورئاسية"<sup>20</sup>، دون الحديث عن المرحلة الانتقالية ومستقبل بشار الأسد.

إنه من غير المتوقع أن يتم إحداث تغيير على الأرض من خلال المفاوضات على الطاولة، بل على العكس، أي تغيير على الطاولة يتطلب تغييراً على الأرض أولاً. كذلك الطرح في سوتشي وجنيف بات متقارباً لجهة الحديث عن الإصلاحات الدستورية

<sup>19</sup> مقارنة معركة إدلب وتحدياتها الوطنية"، مركز عمران للدراسات، 14.9.2018، <https://goo.gl/JjZBYp>.  
<sup>20</sup> لافروف: "إصلاح الدستور أهم محاور سوتشي"، روسيا اليوم، 27/11/2017، <https://goo.gl/eebxY2>.

والانتخابات واستبعاد الحديث عن مستقبل رأس النظام وهيئة الحكم الانتقالي والمرحلة الانتقالية، لكن الاختلاف بين الروس والأمريكان هو على من يرعى العملية ليحقق مكاسبه من خلال ذلك، ويسعى الروس لإنجاز حل خلال جولة أو جولتين كحد أقصى في سوتشي.

ستحاول روسيا خلال زيارة " وفد الهيئة العليا للمفاوضات " إلى موسكو (22 يناير الحالي)، الضغط على الهيئة للمشاركة في سوتشي، ومن غير المعروف ما إذا كان لموسكو أي وعود ممكن أن تقدمها لوفد الهيئة للمشاركة في المؤتمر.

من جهة أخرى فإن المعارضة السورية فقدت معظم أوراقها التي من الممكن أن تستفيد منها خلال جولات المفاوضات، ولم تعد تملك سوى الرفض والتعاطي السلبي مع المشاريع الدولية، التي باتت تتشابه في الأهداف وتختلف في الرعاية و مكان انعقادها فقط، إن كان في فيينا أو جنيف أو سوتشي<sup>21</sup>، وكل ذلك أشبه بتمهيد لحين تبلور تفاهم دولي بمشاركة كافة الدول الراعية للملف السوري، حيث أن عناوين ملفات التفاوض في جنيف في السابق وفيينا وسوتشي لاحقاً تندرج كلها تحت بند "الإصلاحات الدستورية".

وتبدو روسيا مطمئنة لانعقاد سوتشي حتى الآن رغم عدم وجود تجاوب من قبل المعارضة السورية، لكن موسكو ترى أن أوراق الضغط السياسي والعسكري التي تملكها باتت قادرة على تطويع قوى وفصائل المعارضة ومن خلفها الدول الداعمة، إن لم يكن في سوتشي سيكون في غيرها مستقبلاً.

### عفرين وإدلب في قلب التفاهمات الدولية

في ظل التوتر الذي تشهده العلاقات التركية بالولايات المتحدة والغرب، وفي ظل ازدياد التنسيق الروسي التركي والتفهم الروسي لحاجات تركيا الأمنية، استطاعت تركيا تحييد روسيا والبدء بمعركة عفرين والتي أسمتها "غصن الزيتون" بهدف إعلان هو القضاء على وحدات حماية الشعب الكردية الجناح العسكري لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، والتي تصنفها تركيا على أنها تنظيم "إرهابي"، وامتداد لحزب العمال الكردستاني.

وبغض النظر عما ستصل إليه عملية عفرين، إلا أنها ستلقي بظلالها على الوضع السوري ككل، فروسيا ترى فرصة هامة في تحقيق عدة أهداف مما يجري في عفرين، أولاً استغلال حاجات تركيا الأمنية لهيئة ردود الفعل التركية تجاه خروقات النظام وحلفائه في باقي مناطق البلاد وبالتالي تحقيق تقدم ميداني في وقت هام، وثانياً كسب تحالف استراتيجي مع أبرز قوى "الناطو" (تركيا) وتصعيد الخلافات بينها وبين شركائها في الـ نااتو، وثالثاً ضرب النفوذ الأمريكي من خلال التصعيد الدبلوماسي الروسي ضد القوى الكردية واتهام الولايات المتحدة بتسليح القوى الانفصالية الكردية ومحاولة تقسيم البلاد، وهو ما دفع بقائد كردي بارز لاتهام روسيا بخيانتهم بعد أن دعمتهم في السابق، ورابعاً حاجة الروس لتركيا في التسوية السياسية للأزمة السورية، باعتبار تركيا أكبر القوى المؤثرة في قرار المعارضة السورية بشقيها.

<sup>21</sup> أعلنت الأمم المتحدة أنها ستستضيف جولة جديدة من المحادثات السورية في فيينا يومي 25-26 الحالي، قبيل أيام من انعقاد مؤتمر الحوار السوري في سوتشي، وأوضح ديمستورا أن اجتماعات فيينا ستركز على القضايا الدستورية.

أما تركيا والتي عانت كثيراً من السياسة الأمريكية في سوريا، ترى أن أي تأخر جديد في التحرك ضد الميليشيات الكردية يعني اكتمال تطويق حدودها من قبل "العمال الكردستاني"، بعد أن أعلنت الولايات المتحدة عن نيتها إنشاء قوة سورية لحماية الحدود مع تركيا والعراق.

كما أن تطويق عفرين من شأنه ضرب "المشروع الكردي" الذي سيفقد دون شك أحد أهم دعائمه دون أن يعني ذلك انتهاءه، وبالحد الأدنى ستسعى تركيا لحصار عفرين وإخراج مقاتلي (pyd) منها واستعادة القرى العربية التي سيطرت عليها قوات سوريا الديمقراطية شرق عفرين كتل رفعت وحيان ومنغ وغيرها، وتأمين أماكن جديدة لعودة اللاجئين السوريين في تركيا.

إلا أن الطموحات التركية تصطدم بجملة معوقات ترتبط بالمواقف الدولية في معظمها، بسبب الدعم الغربي لقوات سوريا الديمقراطية، ولكن في ظل حاجة تركيا لموقف داعم من عضو دائم في مجلس الأمن بعيد إطلاق عملياتها العسكرية، ترفع مستويات التنسيق بين روسيا وتركيا، ويزيد بالتالي التماهي التركي مع ترتيبات الحل الروسي في سوتشي وغيرها، وبالتالي رأينا وسنرى مزيداً من ردود الفعل الخجولة ضد تحركات روسيا و النظام العسكرية في إدلب أو الغوطة أو غيرها.

### كيف يمكن للمعارضة أن تستفيد من معركة عفرين؟

إن فصائل الثورة في إدلب التي وقعت بين سندان "هيئة تحرير الشام" ومطرقة روسيا والنظام، خسرت الكثير من قوتها وفعاليتها، وترى أن الترتيبات الدولية اليوم تصب في مصلحة النظام، خصوصاً أن تركيا تندفع لحماية أمنها القومي في عفرين، وهذا سينعكس بدوره على وفود التفاوض في المنصات الدولية.

لكن تكمن الأهمية في أن تستطيع فصائل المعارضة والتي تشارك مع تركيا في عملياتها في عفرين، من السيطرة على القرى التي تربط ريفي حلب الشمالي والغربي، وهو هدف معلن منها، وهذا سيعطي دفعة جديدة لقوى المعارضة ومساحات سيطرة إضافية، خصوصاً أن عدة فصائل تملك قوات في الطرفين، كأحرار الشام والزنكي وفيلق الشام وغيرها، ما قد يحسن وضعها التفاوضي. لكن يبقى ذلك مرهوناً بنجاح العملية، وبالحدود السياسية المسموح لفصائل المعارضة التحرك ضمنها في ظل التفاهات الروسية التركية من جهة أخرى.

### خاتمة وتوصيات:

رغم الجهود الكبيرة التي تقوم بها روسيا عسكرياً وسياسياً لفرض رؤيتها في تسوية الملف السوري، ورغم ضعف المعارضة ميدانياً وسياسياً، إلا أن الرغبات الروسية تصطدم بمحددات عدة تعوق فرض تلك الرغبات أهمها:

- تضارب مصالح القوى الفاعلة على الأرض رغم وجود تفاهات معلنه، وهو ما قد ينعكس على المستويين السياسي والعسكري، فالضربة الأخيرة لقاعدة حميميم جعلت إعلان بوتين عن "الانتصار" في سوريا دون قيمة.
- المعارك الميدانية لم تنته بعد، وتشير المعطيات لاستمرارها مستقبلاً سواء في إدلب أو غيرها من مناطق سوريا، فكافة الأطراف غير راضية عن الوضع الحالي، وستسعى لتغييره مع أي فرصة تتاح لها.

- رفض قوى الثورة والمعارضة للدعوات الروسية لحضور مؤتمر سوتشي، مع وجود إجماع شعبي يرفض الرؤية الروسية، وهذا ما يعني عملياً فشل المؤتمر قبل انعقاده، مع احتمال تأجيله.

ورغم قلة الخيارات المتاحة أمام قوى الثورة والمعارضة في ظل الوضع القائم إلا أنه يمكنها القيام بما يلي:

1. استغلال حاجة الروس لفرض حل سياسي، عبر الضغط لوقف العمليات العسكرية كشرط أساسي قبل البدء بأي محادثات سواء في جنيف أو في فيينا أو غيرها، وعدم التجاوب مع أي دعوة روسية جديدة، والضغط على كافة الأطراف الفاعلة من أجل توحيد مسارات التفاوض ضمن مسار جنيف بالاستناد إلى بيان جنيف 1 وقرارات مجلس الأمن 2254 و 2118.
2. ضرورة الصمود عسكرياً، عبر تشكيل غرف عمليات مشتركة بين الفصائل المتواجدة على الأرض وتحقيق حد أدنى من التفاهات الآنية متمثلة بمواجهة قوات النظام وحلفائه، فالوضع الميداني محدد أساسي للعملية التفاوضية.
3. تحقيق التكامل بين المستويين العسكري والسياسي، والعمل على توحيد المسار التفاوضي وعدم السماح للروس بتشيتت قوى الثورة والمعارضة بمنصات استانة وجنيف وفرزها تحت أي محدد.
4. العمل على استغلال تضارب المصالح بين مختلف الأطراف الدولية الفاعلة في الملف السوري، وتوظيف الرغبة الأمريكية لإزعاج الروس، دون التورط في مواجهة مفتوحة يكون الشعب السوري الخاسر الوحيد فيها.
5. تحشيد العامل الشعبي لرفض الرؤى الدولية لتسوية الأزمة السورية والتي ابتعدت عن أهداف الشعب السوري ولو في حدها الأدنى من الحرية والعدالة، والتي يصعب تمريرها دون وجود إرادة شعبية.